دولة الحضر

نشأة دولة الحضر :

الموقع الجغرافي

تقع مدينة الحضر في منطقة الجزيرة ، وهي تبعد عن مدينة الموصل بنحو ١١٠ كم الى الجنوب الغربي منها. ولا يتوفر في هذه المدينة الماء الجاري لبعدها النسبي عن نهري دجلة والفرات ، الا انها تكثر فيها الآبار والمنخفضات التي تتجمع فيها الامطار التي تسقط في فصل الشتاء. وتحيط بمدينة الحضر ارض مرتفعة ، فتظهر الحضر وكأنها منخفضة تصب فيه سيول الامطار ، وتتجمع هذه المياه في منخفضين كبيرين يقعان في القسم الشرقي من المدينة لا يغيب ماؤهما حتى في فصل الصيف . وقد ساعد هذا العامل على استقرار الناس في هذا المكان ونشأة الحياة الحضرية فيه.

تاريخ الاستيطان

يعتقد ان مدينة الحضر كانت مستوطن اشوري في العصر الاشوري الحديث ويبدو ان ابناء القبائل العربية الذين استوطنوا في منطقة الحضر بسبب توفر المياه والمراعي وقد اخذوا يوسعون هذه القرية او المستوطن فأنشأوا لهم فيه معبدا للقبائل التي كانوا يقدمون اليها نذورهم ويحجون اليه في اعيادهم ويدفنون بالقرب منه موتاهم. وكان اله الشمس اشهر الهتهم. وقد عبدها العرب بأسماء مختلفة عرفت باسم هبل في الحجاز ، وبذي الشرى في اليمن ، وباسم شمس في الحضر.

التطور التاريخي

لما توسعت الحضر بعد استيلاء الاسكندر المقدوني على بلاد الشرق وفي العهد السلوقي اصبحت الحضر احد الطريقين اللذين يربطان بين عاصمتي السلوقيين ، سلوقية دجلة وانطاكية في سهل الاسكندرونة في اعالي سوريا. ثم تطورت الحضر من قرية الى مدينة متطورة في القرن الاول الميلادي وحتى منتصف القرن الثالث الميلادي ، اذ ان الحضر قد استفادت من موقعها المتميز على طريق التجارة الدولية بين الشرق والغرب فأصبحت مدينة من مدن القوافل شأنها في ذلك شأن مدينة تدمر وبصرى.

ويبدو ان الحضر قد استفادت من ظروف الصراع السياسي التي كانت قائمة بين دول المنطقة فأخذت تتمتع بنوع من الاستقلالية وتقوم بدور الدولة الحاجزة بين الاطراف المتصارعة بحكم علاقاتها الواسعة مع ابناء القبائل العربية الذين يعيشون في وادي الفرات وبادية الشام.

Scanned by CamScanner

لقد مر تاريخ مدينة الحضر بثلاثة أدوار هي:

١- دور التكوين:

لقد أخذت مدينة الحضر تنمو منذ القرن الأول ق.م وانتهى هذا الدور في منتصف القرن الأول الميلادي، ويبدو أن سلطة الحضر في دور تكوينها كانت موزعة بين الشيوخ الذين عرفوا بكلمة (ربا) أي الزعيم أو العظيم وبين سلطة الكهنة الذين كان يطلق على الواحد منهم (ربن بتا) التي تعني صاحب البيت أي المعبد الكبير في الحضر. وكان شارك هؤلاء في السلطة قادة الجيش وأرباب القوافل.

لقد شارك أهل الحضر في هذا الدور في الصراعات الحربية بين الفرثيين والرومان إلى جانب الفرثيين.

٢- دور السادة:

استمر هذا الدور ما يقارب القرن الواحد ويظن أن هذا الدور استمر حتى انتهاء حملة الامبراطور الروماني تراجان عام ١١٤م وقد تعاقب على الزعامة فيه أشخاص يلقبون بـ (مريا) أي السيد ومن المحتمل أن هؤلاء السادة كانوا من عائلة واحدة وقد انتعشت الحضر في هذا الدور بسبب السلم الذي ساد بين الامبراطوريتين، ويبدو أن (نشرهيب) من أبرز الشخصيات فيها وهو السيد الذي مهر اسمه فيما بعد ملوك وقد تزعم المدينة من بعده (ورود) السيد الذي وجد اسمه منقوشا على جدران الايوانين الكبيرين، كما كان لـ (نصرو) السيد دور كبير في تشييد عدد من الأبنية المهمة في الحضر ومنها المعابد وفي الدفاع عن المدينة.

٣- دور الملوك:

يبدأ هذا الدور بعد منتصف القرن الثاني الميلادي وينتهي بسقوط الحضر عام (٢٤٢م)، وفي دور الملوكية تمتعت الحضر بالاستقرار وتوسع نفوذها حتى بلغ ما يعرف اليوم بالكاظمية وبغداد (سنطروق) ابن نصرو السيد اول ملوك الحضر، وهو أول من ضرب النقود في الحضر واضفا النسر رمز الآلهة شمش مع عبارة «الحضر مدينة الشمس» على احد الوجهين وصور الشمس على الوجه الثاني وقد لقب نفسه (ملك العرب). وتعاقب على الحكم في المدينة عدة ملوك منهم (عبيسميا) الذي كان يلقب ملك العرب ايضا وقاد حملة الدفاع عن الحضر عام ١٩٨م عندما حاصرها الامبراطور الروماني سبتيموس

سفيروس

سفيروس ، اعتلى العرش بعده ابنه سنطروق الثاني وفي عهده امتد نفوذ الحضر الى الخابور وعبر الفرات وتمتعت بالاستقلال الكامل لذلك لقب لقبه « بطل ملك البلاد العربية » . وقد تمكن الحضريون من الانتصار على الملك الساساني اردشير في حركة وقعت في سهل شهرزور وبعد الازدهار والاستقلال والتوسع الذي شهدت الحضر ، دخلت المدينة التي قضت عليها اذ حاصرها الملك الساساني شابور الاول عام (٢٤١م) ، مما اضطرها الى الاستسلام بعد ان فقدت قدرتها على الصمود لنقص المؤونة وتفشي الاوبئة فقتلوا ابناءها ونهبوا كل ما فيها .

Scanned by CamScanner

عوامل نشوء المدينة وازدهارها

عامل البيئة :

ان توفر المياه في مدينة الحضر اذ تقع على بعد ٣ كم من وادي الثرثار شرق المدينة الذي تتجمع فيه مياه الامطار . فضلا عن ان المياه الجوفية في المنطقة قريبة من السطح ، كما عمل الحضريون على توفير مصادر للمياه داخل مدينتهم فحفروا ابارا عديدة اذ لا يوجد بيت او قصر او معبد كبير او صغير الا وجد بالقرب منه بئر ماء ، كما ان هنالك بركة ماء كبيرة في الحضر تقع في الجنوب من سور المعبد الكبير كما توجد داخل سور المدينة منخفضات تتجمع فيها الامطار .

كما امتاز موقع الحضر بوجود الاعشاب والشجيرات وغيرها من النباتات الصالحة للرعي ، فالمنطقة الواقعة ما بين وادي الثرثار ونهر دجلة تتخللها العديد من الوديان وهي غنية بالمياه والنباتات الصالحة للرعي اكثر من اي منطقة اخرى في اعالي الجزيرة .

كما ان التربة التي اقيمت عليها مدينة الحضر تمتاز بخصوبتها فهي صالحة للزراعة لا سيما عند سقوط كميات كافية من الامطار تكفي لانبات محاصيل زراعية .

العامل التجاري :

تبرز اهمية المنطقة كل في هذا الجانب ، وكان موقع الحضر واحدا من المحطات التجارية ، اذ كانت تسيطر على الطرق التجارية للقبائل المتنقلة في بادية جزيرة العراق ، وان السفن التي كانت تأتي من البلدان الشرقية كالهند والصين الى الموانئ الواقعة في اعالي الخليج العربي محملة بالتوابل والعطور والخشب والاحجار الكريمة ، وتعود الى بلادها محملة بمنتجات الشرق المتنوعة وربما مثل الملابس والمعادن والخمور وغيرها .

ان السلوقيين وبعد جلاء بعضهم ادركوا اهمية هذا المحور التجاري وعملوا على استقرار المنطقة واقامة علاقات ودية مع سكانها لضمان سلامة القوافل التجارية ، وهذه القبائل التي استقرت في موقع الحضر ولم يقتصر دور الحضريين عبر تاريخهم على تقديم الحماية والتسهيلات والخدمات الى القوافل التجارية المارة عبر اراضيهم ، انما مارسوا التجارة ايضا ، واصبحت لهم قوافل تجارية خاصة تساهم في نقل البضائع من مصادرها الى الاسواق المستهلكة

العامل العسكري:

اشتهرت مدينة الحضر بقوتها العسكرية واستحكاماتها الدفاعية لكونها المدينة الوحيدة التي استطاعت ان تصمد امام محاولات الرومان في الاستيلاء عليها. وازدادت مكانة المدينة العسكرية اثر اندلاع الحروب الطويلة بين الامبراطوريتين الرومانية والفرثية، اذ برزت اهمية القبائل العربية التي اصبحت الحضر اكبر مركز لها لكونها قوة عسكرية اساسية في المنطقة.

لقد صمدت الحضر للمحاولات التي استهدفت اقتحامها فقاتل الحضريون الجيوش الرومانية المهاجمة بقيادة تراجان عام ١١٦م، وافشلوا محاولاته في اقتحام المدينة، كما تصدوا للمحاولة الثانية التي قام بها الامبراطور الروماني سبتيموس سفيروس عام ١٩٨م، بعد ان اوشك على دخول المدينة غير ثغرة عليها في السور استطاع اهل الحضر بناءها اثناء الليل. كما تفتخر على الات على اساس انها ازدشير بن بابك السيطرة عليها عام ٢٢٦م على الرغم من انه استطاع ان يحرث فجوة في سورها.

لقد وجد الحضريون انفسهم في ظروف دولية مشحونة بالحروب والاضطرابات فاضطرهم الى ان يهتموا بالشؤون العسكرية، فاستعملوا وسائل دفاع متقدمة من بينها قذائف النار الحضرية المصنوعة من النفط والقار، واستعملوا المنجنيق والسهام المزدوجة.

العامل الديني:

هنالك الكثير من المعابد في مدينة الحضر، سواء تلك التي على شكل مزارات منتشرة في ارجاء المدينة، اذ قامت القبائل العربية التي سكنت المدينة ببناء معبد صغير لكل قبيلة بالقرب من مكان سكنها او شكل مزارات داخل بيوت السكن. وهنالك المعابد الكبيرة التي شيدت وسط المدينة واحيطت بسور طويل يفصلها عن بقية الاحياء، لاجنبي، وقد كرست هذه المعابد للآلهة الرئيسة في الحضر وفي مقدمتهم شمش. كما ان الكتابات الحضرية هي معظمها كتابات قصيرة تتعلق بالادعية وتقديم النذور. ولاهمية العامل الديني فقد نسبت المدينة كلها الى الاله شمش كبير الآلهة الحضرية فعلى النقود الحضرية وجدت عبارة "حظرا دي شمش" اي الحضر مدينة الشمس.